الشاب الجَسور

حمودة الشريف كريم

رسوم : عيسى قويرح



الدار التونسية للنشر

حمودة الشريف كريم

رسوم: عيسى قويرح

الشاب الجسور

الدار التونسية للنشر

ISBN : 9973 - 12 - 215 - 1

ذَاتَ فَجْرٍ، بَيْنَمَا كُنَّا نَائِمِينَ إِذْ سَمِعْنَا بَقَرَتَنَا تَخُورُ خُوَاراً بَعَثَ فِي نُفُوسِنَا الرَّهْبَةَ وَالخَوْفَ، فَنَهَضْنَا فَزِعِينَ وَانْدَفَعَ أَبِي نَحْوَ الإِصْطَبْلِ، وَجَرَى جَدِّي وَرَاءَهُ، وَقَفَزَتْ أُمِّي مِنْ فِرَاشِهَا، أَمَّا أَنَا وَأُخْتِي الكَسِيحَةُ فَتَكَوَّرْنَا عَلَى نَفْسَيْنَا، وَالْتَحَمْنَا بِرُكْنِ البَيْتِ نَنْتَظِرُ الخَبَرَ.

وَدَخَلَتْ أُمِّي تَضْرِبُ صَدْرَهَا بِيَدَيْهَا وَالدُّمُوعُ تَسِيلُ وَهْيَ تَتَضَرَّعُ وَتَجْأَرُ بِالدُّعَاءِ إِلَى اللّٰهِ:

ـ اللَّهُمَّ كُنْ فِي عَوْنِنَا، أَغِثْنَا، اِرْحَمْنَا.

ذَاتَ فَجْرٍ، بَيْنَمَا كُنَّا نَائِمِينَ إِذْ سَمِعْنَا بَقَرَتَنَا تَخُورُ خُوَاراً بَعَثَ فِي نُفُوسِنَا الرَّهْبَةَ وَالخَوْفَ، فَنَهَضْنَا فَزِعِينَ وَانْدَفَعَ أَبِي نَحْوَ الإِصْطَبْلِ، وَجَرَى جَدِّي وَرَاءَهُ، وَقَفَزَتْ أُمِّي مِنْ فِرَاشِهَا، أَمَّا أَنَا وَأُخْتِي الكَسِيحَةُ فَتَكَوَّرْنَا عَلَى نَفْسَيْنَا، وَالْتَحَمْنَا بِرُكْنِ البَيْتِ نَنْتَظِرُ الخَبَرَ.

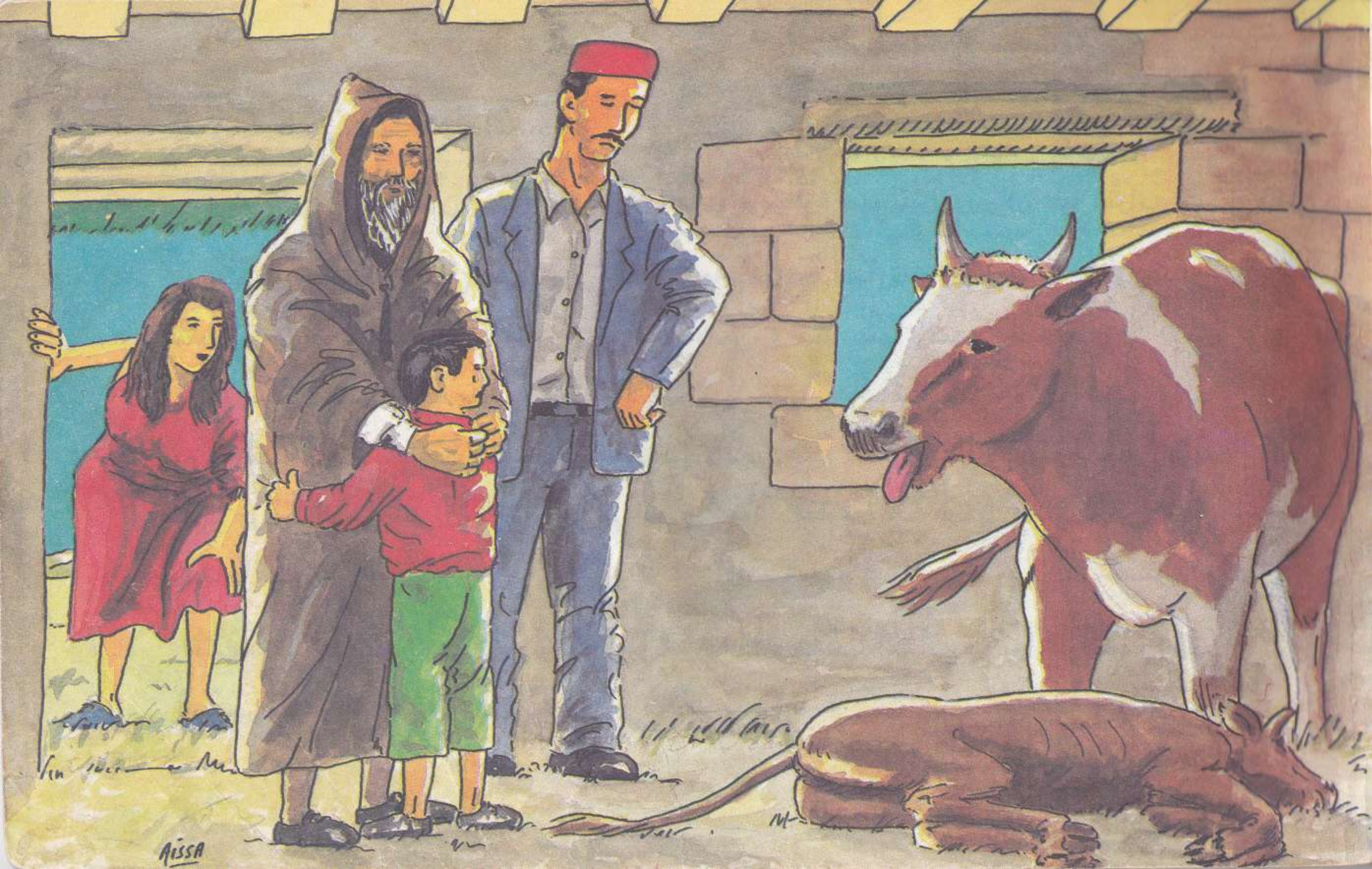
وَدَخَلَتْ أُمِّي تَضْرِبُ صَدْرَهَا بِيَدَيْهَا وَالدُّمُوعُ تَسِيلُ وَهْيَ تَتَضَرَّعُ وَتَجْأَرُ بِالدُّعَاءِ إِلَى اللهِ:

ـ اللَّهُمَّ كُنْ فِي عَوْنِنَا، أَغِثْنَا، ارْحَمْنَا.

وَفَزِعْنَا إِلَيْهَا خَائِفَيْنِ، مُتَلَهِّفَيْنِ، نَسْتَجْلِي الخَبَرَ، فَلَمْ تُجِبْنَا، فَتَشَجَّعْتُ وَذَهَبْتُ إِلَى الإِصْطَبْلِ فَإِذَا العِجْلُ مُلْقى عَلَى الأَرْضِ، وأَرْجُلُهُ مُمَدَّدَةٌ،، وَعَيْنَاهُ مُغْمَضَتَانِ وَأُمُّهُ تَتَشَمَّمُهُ، وَتَضْرِبُ الأَرْضَ بِسَنَابِكِهَا وَ تَخُورُ خُوَارًا مُؤْلِمًا وكَأَنَّهَا تَطْلُبُ النَّجْدَةَ مِنَّا وَتَقُولُ:

ـ أَيُّهَا البَشَرُ أَمَا تَرْحَمُونَ ... أَمَا تَرْحَمُونَ... أَمَا تَرْأَفُونَ... أَمَا تَشْعُرُونَ... أَغِيثُونِي... ارْحَمُونِي... لَوْ كَانَ ابْنًا مِنْ أَبْنَائِكُمْ لَهرَعْتُمْ إِلَى الأَطِبَّاءِ تَطْلُبُونَ النَّجْدَةَ... أَهَكَذَا يَمُوتُ ابْنِي أَمَامَكُمْ وَأَنْتُمْ سَاهِمُونَ، لاَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، هَلْ فُقِدَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ...؟ هَلِ انْتُزِعَتِ الرَّأْفَةُ وَالحَنَانُ مِنْ أَفْئِدَتِكُمْ...؟

طَفَرَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيَّ وَبَكَيْتُهُ، إِنَّهُ رَفِيقِي، رَفِيقُ حَيَاتِي، فَقَدْ حَضَرْتُ وِلاَدَتَهُ، وَرَعَيْتُهُ مُنْذُ الصِّغَرِ، وَرَافَقْتُهُ إِلَى الحُقُولِ، وَقَدَّمْتُ لَهُ الحَشِيشَ وَالمَاءَ وَأَنْزَلْتُهُ مِنْ قَلْبِي مَنْزِلَةً خَاصَّةً... وَاشْتَدَّ نَشِيجِي فَضَمَّنِي جَدِّي إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لِي:


AÏSSA

ـ لاَ تَبْكِ يَا بُنَيَّ، إِنَّهَا مَشِيئَةُ اللَّهِ...

ـ وعِنْدَ طلُوعِ الشَّمْسِ كَانَ أَبِي وَجَدِّي يَجرَّانِ العِجْلَ إِلَى حُفْرَةٍ أَمَامَ المَنْزِلِ وَيُهِيلاَنِ عَلَيْهِ التُّرَابَ.

ـ وَكَمْ كَانَ يَحزُّ فِي نَفسِي عِنْدَمَا أَرى البَقَرَةَ تَتَّجِهُ نَحْوَ تِلْكَ الحُفْرَةِ، وَتَتَمَرَّغُ فَوْقَهَا وَتَخُورُ خُوَارًا مُتَقَطِّعًا، حَزِينًا، بَاكِيًا، يُدْمِي النَّفسَ، وَيَغمُرُهَا بِالأَسَى، واشْتَدَّ غَمُّهَا وكَمَدُهَا فَانْقَطَعَتْ عَنِ الأكْلِ فَهَزَلَتْ وَضَعُفَتْ حَتَّى بَرَزَتْ عِظَامُهَا، وَكُنَّا دَائِمًا بِجَانِبِهَا نُحَاوِلُ أَنْ نَسقِيَهَا الدَّوَاءَ فَكَانَتْ تُمَانِعُ، وَذَاتَ يَوْمٍ حَاوَلَتِ النُّهُوضَ فَأَعَنَّاهَا، فَخَرَجَتْ مِنَ الإِصْطَبْلِ وَاتَّجَهَتْ نَحْوَ الحُفْرَةِ وَنَحْنُ نَتْبَعُهَا وَعِنْدَمَا وَصَلَتْهَا خَارَتْ وَرَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَنْزِلُ عَلَى خَدَّيْهَا ثُمَّ اسْتَلْقَتْ فَوْقَ الحُفْرَةِ وَبَاتَتْ لَيْلَتَهَا هُنَاكَ وَفِي الصَّبَاحِ وَجَدْنَاهَا مَيِّتَةً.

بَكَتْ أُخْتِي الكَسِيحَةُ، وَهْيَ تَزْحَفُ نَحْوَ البَقَرَةِ، وَنَدبَتْ أُمِّي خَدَّيْهَا أَمَّا أَبِي فَجلَسَ القُرْفُصَاءَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ:

- مَاذَا بَقِيَ لَنَا...؟ البَقَرَةُ مَاتَتْ وَالوَادِي جَفَّ مَاؤُهُ حَتَّى أَصْحَيْنَا فِي يَأْسٍ مِنَ الشَّرَابِ، وَالحَدِيقَةُ الَّتِي بَذَلْنَا عَرَقَنَا سَمَادًا لَهَا قَدْ ذَبُلَتْ.

وَرَفَعَ جَدِّي رَأْسَهُ، وَقَدْ كَانَ يَنْكُتُ الأَرْضَ بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَنَظَرَ إِلَى الجَبَلِ الَّذِي ارْتَفَعَ مُتَشَامِخًا وَقَالَ:

- كُلُّ المَصَائِبِ مِنْ هَذَا الجَبَلِ إِنَّهُ يَمْنَعُ عَنَّا الخَيْرَاتِ، يَكْفُرُ البَرَكَةَ، إِنَّ سِرًّا يَكْمُنُ فِي قِمَّتِهِ، وَلاَ بُدَّ مِنِ اقْتِحَامِهَا وَإِذْلاَلِهِ كَمَا أَذَلَّنَا وَأَتْعَبَنَا.

وَأَضَافَ أَبِي:

- أَصْبَحْنَا نَعِيشُ فِي جَفَافٍ دَائِمٍ فَالجَبَلُ يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَحْرِ فَالأَمْطَارُ تَنْزِلُ فِي سَفْحِهِ الآخَرِ أَمَّا نَحْنُ فَلاَ تَصِلُنَا إِلاَّ الرِّيحُ الصَّرْصَرُ العَاتِيَةُ، عَلَيْنَا أَنْ نَرْحَلَ مِنْ هَذَا المَكَانِ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ.

انْتَصَبَتْ أُمِّي وَاقِفَةً وَقَالَتْ:

ـ أَنَا لاَ أُغَادِرُ المَزْرَعَةَ وَإِذَا مُتُّ فَاغْرِسُونِي فِيهَا كَمَا تُغْرَسُ الشَّجَرَةُ.

وَبَكَتْ أُخْتِي الكَسِيحَةُ وَقَالَتْ:

ـ أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَبْقَى هُنَا إِلَى جَانِبِ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ، أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَآكُلُ زَيْتُونَهَا، وَأَشْرَبُ زَيْتَهَا.

عِشْنَا أَيَّامًا عَصِيبَةً، واشْتَدَّ الكَرْبُ، وَأَضْحَتْ حَيَاتُنَا أَوْجَاعًا وَآلاَمًا بَعْدَمَا كَانَتْ فَرْحَةً وَبَهْجَةً، وَغَابَتْ نَضَارَةُ حَدِيقَتِنَا وَيَنَاعَتُهَا وَاخْضِرَارُهَا، فَقَدْ رَعَيْنَاهَا بِلَحْمِنَا وَدَمِنَا وَحَفِظْنَاهَا مِنَ الآفَاتِ وَحَمَيْنَاهَا فَأَزْهَرَتْ وَأَيْنَعَتْ. إِنَّهَا اليَوْمَ تَعِيشُ فِي حُزْنٍ مُتَوَاصِلٍ.

وَذَاتَ مَسَاءٍ سَادَ حَدِيقَتَنَا ضَبَابٌ حَجَبَ النُّورَ عَنَّا وَبَقِينَا فِي لَيْلٍ طَوِيلٍ، وَانْتَابَنَا شُعُورٌ كَئِيبٌ، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَفْعَلُ، وَاشْتَدَّتِ الأَزْمَةُ وَعَظُمَ الكَرْبُ وَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ، وَفِي اليَوْمِ السَّابِعِ تَقَشَّعَ الضَّبَابُ وَانْجَلَى

عَنْ مَنْظَرٍ رَهِيبٍ، مُفْزِعٍ، خَلَعَ قُلُوبَنَا وَهَدَّ كِيَانَنَا، إِنَّهُ مَنْظَرُ الأَشْجَارِ وَقَدْ تَعَرَّتْ مِنْ أَوْرَاقِهَا وَيَبِسَتْ أَغْصَانُهَا وَطَفِقَتْ جُيُوشُ الحَشَرَاتِ تَنْخُرُ جُذُورَهَا. بَقِينَا بَاهِتِينَ، ذَاهِلِينَ عَنْ أَنْفُسِنَا، يَغْمُرُ الأَسَى وُجُوهَنَا وَيُمَزِّقُ الأَلَمُ أَفْئِدَتَنَا، وَالحَيْرَةُ تَعْصِفُ بِكِيَانِنَا، نَنْظُرُ إِلَى مَجْهُودَاتِنَا وَهْيَ تَتَحَطَّمُ، وَإِلَى عَرَقِنَا وَهْوَ يَغُورُ فِي الأَرْضِ وَإِلَى آمَالِنَا وَهْيَ تَتَبَخَّرُ.

اغْبَرَّ وَجْهُ جَدِّي وَامْتَقَعَ، وَاصْفَرَّ وَجْهُ أَبِي، وَضَرَبَتْ أُمِّي صَدْرَهَا جَزَعًا وَهَلَعًا، وَاحْتَضَنَتْ أُخْتِي شَجَرَةً وَبَكَتْ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ هَالَنِي المَوْقِفُ، فَانْهَارَتْ قُوَايَ وَانْتَابَتْنِي نَوْبَةٌ مِنَ البُكَاءِ فَارْتَمَيْتُ عَلَى زَيْتُونَةٍ أُقَبِّلُهَا وَأَتَشَمَّمُ أَوْرَاقَهَا الذَّاوِيَةَ الذَّابِلَةَ، فَرَبَّتَ جَدِّي عَلَى كَتِفِي وَقَالَ:

ـ لاَ يَنْفَعُ البُكَاءُ، عَلَيْنَا أَلاَّ نَقِفَ عِنْدَ العَثْرَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَسَلَّحَ بِالعَزِيمَةِ لِنَجْتَازَ العَثَرَاتِ، وَنَكُونَ أَقْوَى مِنَ المُصِيبَةِ... وَسَكَتَ وَسَرَّحَ نَظَرَهُ بَعِيدًا فِي الأُفُقِ ثُمَّ نَطَقَ فِي صَوْتٍ تُمَازِجُهُ نَغْمَةٌ حَزِينَةٌ وَفِيهِ رَبَاطَةُ جَأْشٍ وَبُطُولَةٌ:

- عَلَيْنَا أَنْ نُجَاهِدَ وَنَتْعَبَ وَنُسَافِرَ لِنَسْتَجْلِبَ التُّرَابَ الوَرْدِيَّ لِحَدِيقَتِنَا البَائِسَةِ، المَرِيضَةِ.

وَفِي اللَّيْلِ كُنَّا مُتَحَلِّقِينَ حَوْلَ المَوْقِدِ وَالأَسَى يَغْمُرُ نُفُوسَنَا، وَطَفِقَ أَبِي وَجَدِّي يَتَحَدَّثَانِ عَنِ التُّرَابِ الوَرْدِيِّ فَهُوَ الَّذِي يُعِيدُ إِلَى الحَدِيقَةِ نَضَارَتَها وَبِهِ تُصْبِحُ خَضْرَاءَ، يَانِعَةً، وَيَذْهَبُ عَنْهَا الأَذَى، وَيَشْفِيهَا مِمَّا أَلَمَّ بِهَا.

قُلْتُ:

- كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ...؟

قَالَ جَدِّي:

لاَ تَظُنَّنَّ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ سَهْلُ المَنَالِ، فَلِلْوُصُولِ إِلَيْهِ أَتْعَابٌ وَأَهْوَالٌ، كَمْ مُغَامِرٍ ضَحَّى بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِهِ...؟ وَكَمْ بَطَلٍ مَاتَ وَهُوَ يَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ؟



فَدُونَهُ أَشْوَاكٌ كَثِيرَةٌ.

اِرْتَجَفْتُ وَاعْتَرَتْنِي قُشَعْرِيرَةٌ، اِنْتَبَهَ لَهَا أَبِي وَكَأَنَّهُ قَرَأَ مَا بِدَاخِلِي مِنَ الخَوْفِ فَقَالَ لِي:

- لاَ تَخَفْ يَا وَلَدِي، اِبْقَ هُنَا مَعَ أُمِّكَ وَأُخْتِكَ، وَسَأَذْهَبُ أَنَا وَجَدُّكَ، اِهْنَأْ بَالاً.

قُلْتُ:

- سَأَذْهَبُ مَعَكُمَا وَسَأُغَامِرُ مِنْ أَجْلِ حَدِيقَتِنَا، وَلَنْ أَتَوَانَى فِي خِدْمَتِهَا فَأَنَا أُضَحِّي بِنَفْسِي، وَأَمُوتُ فِي سَبِيلِهَا، وَأَهَبُهَا رُوحِي وَحَيَاتِي.

قَرَّرْنَا المُغَامَرَةَ فَهَيَّأْنَا زَادَنَا وَأَعْدَدْنَا العُدَّةَ، وَعِنْدَ الفَجْرِ كُنَّا عَلَى رَبْوَةٍ تُشْرِفُ عَلَى حَدِيقَتِنَا، وَالْتَفَتُّ وَرَائِي فَرَأَيْتُ أُمِّي أَمَامَ المَنْزِلِ وَبِجَانِبِهَا أُخْتِي الكَسِيحَةُ، وَرَأَيْتُ الأَشْجَارَ أَشْبَاحًا تَتَجَلْبَبُ بِجِلْبَابِ السَّوَادِ، فَشَجَرَةُ التُّفَّاحِ انْتَكَسَتْ وَكَأَنَّهَا فِي لَحْظَةِ الوَدَاعِ وَهْيَ تُذَكِّرُنِي بِأَيَّامِ الصِّبَا وَشَجَرَةُ اللَّوْزِ


AISSA

انْحَنَتْ وَكَأَنَّهَا تُعْلِنُ الفِرَاقَ الأَبَدِيَّ أَمَّا شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ فَرَغْمَ مَا أَصَابَهَا فَقَدْ بَقِيتْ شَامِخَةً صَامِدَةً وَكَأَنَّهَا تَقُولُ لَنَا سَأَنْتَظِرُكُمْ وَلَنْ يَنَالَ الدَّهْرُ مِنِّي شَيْئًا.

لَحْظَةُ وَدَاعٍ رَهِيبَةٌ، مُؤَثِّرَةٌ، انْقَبَضَتْ لَهَا نَفْسِي فَارْتَجَفْتُ وَبَكَيْتُ فَنَظَرَ إِلَيَّ أَبِي وَجَدِّي وَكَأَنَّهُمَا يَلُومَانِنِي عَلَى ضُعْفِي أَمَامَ المَصَائِبِ وَيَحْمِلاَنِي عَلَى التَجلُّدِ وَالتَّجَمُّلِ بِالصَّبْرِ، فَتَشَجَّعْتُ وَرَفَعْتُ رَأْسِي وَسِرْتُ إِلَى الأَمَامِ.

سِرْنَا أَيَّامًا نُنْجِدُ وَنُتْهِمُ، نَعْلُو وَنَنْخَفِضُ، وَالطَّرِيقُ يَسْتَقِيمُ حِينًا وَيَتَلَوَّى أَحْيَانًا كَأَنَّهُ الثُّعْبَانُ المَذْعُورُ، وَوَصَلْنَا جَبَلاً قَدِ التَفَّتْ غَابَتُهُ وَاشْتَبَكَتْ أَغْصَانُ أَشْجَارِهَا، وَفِي اللَّيْلِ تَعَالَتْ أَصْوَاتُ الحَيَوَانَاتِ الوَحْشِيَّةِ وَتَجَاوَبَتْ فَدَاخَلَتْنِي الرَّهْبَةُ، وَتَمَلَّكَنِي الخَوْفُ، وَدَخَلْنَا شِعْبًا فِيهِ مَهَاوٍ كَثِيرَةٌ، وَمَسَارِبُ ضَيِّقَةٌ وَحَرَنَ الحِمَارُ وَأَجْبَرْنَاهُ عَلَى السَّيْرِ، وَلَمْ يَكَدْ يَتَقَدَّمُ حَتَّى رَأَيْتُهُ يَسْقُطُ فِي هُوَّةٍ عَمِيقَةٍ، سَحِيقَةٍ وَيَلْقَى حَتْفَه فِي عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ. وَكَثُرَتِ المَخَاطِرُ وَتَوَالَتِ النَّكَبَاتُ وَكَأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَثْنِيَنَا عَنْ عَزْمِنَا، فَقَدْ مَرِضَ


AÏSSA

وَالِدِي وَأَقَمْنَا أَيَّامًا نُمَرِّضُهُ بِالأَعْشَابِ البرِّيَّةِ وَكَادَ يُسْقَطُ فِي أَيْدِينَا وَنَرْجِعُ خَائِبِينَ وَسَيْطَرَ عَلَيَّ الذُّهُولُ وَأَضْحَيْتُ كَالمَذْهُوبِ بِهِ وَخَاطَبَنِي جَدِّي:

ـ لاَ تَضْعُفْ يَا بُنَيَّ فَلَكَ فِي النَّمْلَةِ أَعْظَمُ مِثَالٍ فِي مُعَالَجَةِ الحبَّةِ فَرغْمَ أَنَّهَا حَيَوَانٌ صَغِيرٌ ضَعِيفٌ لَكِنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَقِّقَ رَغْبَتَهَا رَغْمَ مَا تُلاَقِيهِ مِنَ الصُّعُوبَاتِ وَالعقَبَاتِ. وَتَشَجَّعْتُ وَقُلْتُ:

ـ أَنَا غَيْرُ خَائِفٍ وَلاَ مُتَهَيِّبٍ، وَإِنَّمَا مَرَضُ أَبِي أَثَّرَ فِي نَفْسِي وَأَنَا خَرَجْتُ مَعَكُمَا نَطْلُبُ التُّرَابَ الوَرْدِيَّ فَإِمَّا الفَوْزُ بِهِ وَإِمَّا المَوْتُ.

رَبَّتَ جَدِّي عَلَى كَتِفِي وَقَالَ:

ـ خِفْتُ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْكَ اليَأْسُ وَتَضْعُفَ فَتَتَرَاجَعَ، وَإِنِّي لَفَخُورٌ بِكَ، أَنْتَ المُسْتَقْبَلُ.

شُفِيَ وَالِدِي وَوَاصَلْنَا طَرِيقَنَا وَطَالَتِ الأَيَّامُ وَامْتَدَّ السَّفَرُ وَكُنَّا لاَ نَنَامُ إِلاَّ غِرَاراً، وَتَعِبْنَا كَثِيراً وَدَمِيَتْ

مِنَّا وَنَحِلَتْ أَجْسَامُنَا وَخِفْنَا أَنْ يَتَمَلَّكَنَا العَجْزُ وَتَذْبُلَ زَهَرَاتُ الأَمَلِ فِي نُفُوسِنَا، فَبَدَأْنَا نَتَشَجَّعُ بِذِكْرِ سِيَرِ المُغَامِرِينَ، وَنَسْتَعْرِضُ بُطُولاتِ المُكَافِحِينَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ رَأَيْنَا بِنَاءً شَاهِقًا، قَدِ انْعَكَسَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ فَبَدَا كَأَنَّهُ لَهِيبُ النَّارِ المُوقَدَةِ، فَفَرِحْنَا وَانْتَعَشَتْ نُفُوسُنَا وَاخْتَلَجَتْ وَطَرِبَتْ وَهَزَّنَا الفَرَحُ وَكَبُرَ الشَّوْقُ وَنَمَا الأَمَلُ، وَقَفْنَا أَمَامَ البِنَاءِ وَصِحْنَا بِصَاحِبِهِ فَلَمْ يُجِبْنَا غَيْرُ الصَّدَى، وطُفْنَا حَوْلَهُ فَلَمْ نَجِدْ مَنْفَذًا لِلدُّخُولِ، وَبَقِينَا أَيَّامًا وَنَحْنُ حَائِرُونَ نَتَفَكَّرُ الأَمْرَ وَنَتَدَبَّرُهُ وَنُحَاوِلُ حَلَّ لُغْزِ البِنَاءِ المُتَفَرِّدِ دُونَ بَابٍ وَسُكَّانٍ.

وَبَيْنَمَا كُنَّا نَائِمِينَ إِذْ سَمِعْنَا جَلْجَلَةً وَفَرْقَعَةً وَدَوِيًّا هَائِلاً فَنَهَضْنَا فَزِعِينَ وَانْتَصَبْنَا وَاقِفِينَ وَانْتَضَيْنَا سُيُوفَنَا وَإِذَا كُتْلَةٌ مِنْ نُورٍ تُعْشِي العُيُونَ تَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ البِنَاءِ وَتَتَّجِهُ نَحْوَنَا، فَاسْتَعْدَدْنَا لِلْخَطَرِ وَتَكَشَّفَتْ عَنْ شَيْخٍ حَفَرَتْ وَجْهَهُ السِّنُونُ، وَغَارَتْ عَيْنَاهُ وَتَدَلَّى حَاجِبَاهُ وَتَهَدَّلَتْ لِحْيَتُهُ، أَدْرَدَ الفَمِ، طَوِيلَ الأَنْفِ، مُقَوَّسَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا يُخَاطِبُنَا بِصَوْتٍ رَقِيقٍ تُدَاخِلُهُ نَغْمَةٌ شَجِيَّةٌ، نَدِيَّةٌ، نَاعِمَةٌ، بَعَثَتْ فِي نُفُوسِنَا الدِّفْءَ وَالأُنْسَ.


AÏSSA

ـ مَا شَأْنُكُمْ، وَمَا تَبْتَغُونَ...؟

قُلْنَا:

ـ أَصَابَ حَدِيقَتَنَا وَبَاءٌ فَجَفَّ العُودُ وَيَبِسَ، وَتَسَاقَطَتِ الأَوْرَاقُ فَأَتَيْنَا نَبْحَثُ عَنِ التُّرَابِ الوَرْدِيِّ لِأَنَّهُ الدَّوَاءُ النَّاجِعُ.

صَمَتَ وَزَمَّ شَفَتَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

ـ قَدْ فَهِمْتُ قَصْدَكُمْ، وَعَرَفْتُ حَاجَتَكُمْ

شَعُرْنَا بِالاطْمِئْنَانِ وَكَأَنَّنَا عَثَرْنَا عَلَى حَاجَتِنَا وَلَكِنَّهُ أَضَافَ:

ـ أَتْعَابٌ كَثِيرَةٌ وَآلَامٌ جَمَّةٌ وَمَصَائِبُ، وَمِحَنٌ، وَأَخْطَارٌ مَهُولَةٌ سَتُلَاقُونَهَا.

قُلْنَا:

- نَحْنُ مُقَرِّونَ العَزْمَ عَلَى جَلْبِ التُّرَابِ الوَرْدِيِّ وَمُسْتَعِدُّونَ لِتَحَمُّلِ الأَتْعَابِ وَاقْتِحَامِ الأَهْوَالِ.

قَالَ:

- مَطْلَبُكُمْ فِي قِمَّةِ جَبَلِ الوُرُودِ وَلِلْوُصُولِ إِلَيْهِ مَخَاطِرُ، فَدُونَهُ صَحْرَاءُ شَاسِعَةٌ، مُعْطِشَةٌ، قَاتِلَةٌ، وَبَعْدَمَا تَجْتَازُونَ تِلْكَ المَغَارَةَ سَتَجِدُونَ نَهْرَ المَوْتِ وَفِيهِ تِنِّينٌ مَاكِرٌ خَبِيثٌ فَالْحَذَرَ، الْحَذَرَ وَكُونُوا يَقِظِينَ، هَذِهِ نَصِيحَتِي لَكُمْ، وَأَتَمَنَّى لَكُمُ التَّوْفِيقَ.

وَدَخَلْنَا الصَّحْرَاءَ فَإِذَا هِيَ بَحْرٌ مِنَ الرِّمَالِ، وَكَانَتِ الشَّمْسُ تَشْوِينَا وَالرِّمَالُ تَكْوِي أَرْجُلَنَا فَنَحْنُ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ نَارَيْنِ، وَنَفِدَ الزَّادُ وَفُقِدَ المَاءُ، فَخِفْنَا التَّهْلُكَةَ، وَاشْتَدَّ البَأْسُ، وَبَلَغَتِ الأَرْوَاحُ الحَنَاجِرَ، وَأَشْرَفْنَا عَلَى الهَلاَكِ، وَنَالَ الإِجْهَادُ مِنْ جُسُومِنَا، فَكُنَّا نَنْقُلُ الخُطَى فِي تَثَاقُلٍ، وَنَتَلَوَّى أَلَمًا وَتَعَبًا وَاشْتَدَّ عَطَشُنَا، وَيَبِسَتْ حَنَاجِرُنَا، فَكُنَّا نَلُوكُ أَلْسِنَتَنَا نَسْتَجْلِبُ الرِّيقَ، وَكُنَّا نَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ نَنْشُدُ الرَّحْمَةَ

عَلَّنَا نَرَى طَائِراً يَدُلُّنَا عَلَى مَوَاقِعِ الْمَاءِ، وَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَانَتْ حَبَّاتُ الرِّمَالِ تَجْلِدُ وُجُوهَنَا وَتَغْزُو عُيُونَنَا فَكُنَّا نَدُورُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَلَمْ نَتَبَيَّنِ الطَّرِيقَ، وَصَاحَ جَدِّي وَتَسَمَّرَ فِي مَكَانِهِ ثُمَّ طَفِقَ يَتَلَوَّى فَأَسْرَعْنَا إِلَيْهِ فَوَجَدْنَاهُ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ وَأَشَارَ إِلَى مَوْضِعِ الأَلَمِ فَإِذَا نَهْشَةُ أَفْعَى فِي قَدَمِهِ وَحَاوَلْنَا أَنْ نُسْعِفَهُ فَامْتَصَّ أَبِي مَوْضِعَ النَّهْشَةِ، وَسَمِعْتُ نَعِيقَ غُرَابٍ فِي الجَوِّ فَتَابَعْتُهُ فَرَأَيْتُهُ يَتَّجِهُ نَحْوَ اليَسَارِ وَالتَفَتُّ إِلَى جَدِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَصَارَ إِلَى رَبِّهِ فَبَكَيْنَاهُ وَقَبَرْنَاهُ وَوَضَعْنَا عَلَيْهِ شَاهِداً وَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ وَوَاصَلْنَا سَيْرَنَا وَقَدْ عَصَفَ الأَلَمُ بِمَشَاعِرِنَا، وَأَخَافَتْنَا الصَّحْرَاءُ فَصَارَ أَمَلُنَا فِي الخُرُوجِ مِنْهَا ضَعِيفاً وَكُنَّا نَهْتَدِي بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ لَيْلاً، وَأَصْبَحْنَا نَدْفَعُ الأَيَّامَ بِصَبْرٍ وَأَنَاةٍ.

وَذَاتَ يَوْمٍ أَبْرَقَ الأَمَلُ فِي نُفُوسِنَا لَمَّا شَاهَدْنَا غَابَةً عَلَى سِيفِ المَفَازَةِ وَعِنْدَمَا دَخَلْنَاهَا وَجَدْنَاهَا كَثِيفَةً مُوحِشَةً، وَأَغْصَانُ أَشْجَارِهَا مُذَبَّبَةٌ وَقَالَ أَبِي هَذِهِ هِيَ غَابَةُ الآلاَمِ الَّتِي حَدَّثَنَا عَنْهَا الشَّيْخُ، وَكَانَ نَوْمُنَا إِغْفَاءَةً تَحَسُّباً لِكُلِّ خَطَرٍ، وَكَانَتْ أَصْوَاتُ الحَيَوَانَاتِ الوَحْشِيَّةِ مَا تَنْفَكُّ تَتَعَالَى وَتَتَجَاوَبُ مَعَهَا



أَصْدَاءُ الغَابَةِ فَتَخْفِقُ لَهَا قُلُوبُنَا وَتَضْطَرِبُ وَتَهْتَزُّ خَوْفًا وَجزَعًا، وَلاَقَيْنَا الأَتْعَابَ فِي إِيجَادِ المَسَالِكِ لِلنَّفَاذِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ وَجَدْنَا حَطَّابًا قَوِيَّ العَضَلاَتِ، عَبْلَ السَّاعِدَيْنِ عَارِيَ الجِسْمِ أَشْعَرَ، قَدْ سَتَرَ عَوْرَتَهُ بِلَفَائِفَ مِنَ الحَشِيشِ، تَقَدَّمْنَا مِنْهُ وَحَيَّيْنَاهُ فَأَدَارَ فَأْسَهُ فِي الفَضَاءِ نِصْفَ دَوْرَةٍ فَفَهِمْنَا أَنَّهُ يُرَحِّبُ بِنَا ثُمَّ أَدَارَهَا دَوْرَةً كَامِلَةً فَعَرَفْنَا أَنَّهُ يَسْأَلُنَا عَنْ وِجْهَتِنَا فَأَطْلَعْنَاهُ عَلَيْهَا بِالإِشَارَاتِ فَرَفَعَ فَأْسَهُ عَالِيًا وَوَجَّهَهَا نَحْوَ الشَّرْقِ ثُمَّ إِلَى الجَنُوبِ قَلِيلاً وَعِنْدَمَا أَرَدْنَا الذَّهَابَ صَرَخَ وَأَدَارَهَا دَوْرَاتٍ مُتَعَدِّدَةً مُخْتَلِفَةً وَضَرَبَ بِهَا شَجَرَةً، فَلَمْ نَفْهَمْ مَا أَرَادَ وَلَكِنَّنَا شَعُرْنَا بِالخَوْفِ وَبَقِينَا نَسِيرُ فِي تِلْكَ الغَابَةِ نَتَلَمَّسُ الطَّرِيقَ وَنُحَاوِلُ إِيجَادَ المَنَافِذِ وَالخَطَرُ يَتَهَدَّدُنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فِي صَحْوِنَا وَنَوْمِنَا، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَجَدْنَا نَهْرًا لَيْسَ كَالأَنْهُرِ، حُطَامُ جُثَثٍ عَلَى ضِفَّتِهِ، وَبَقَايَا أَرْجُلٍ، وَجَمَاجِمُ وَأَقْفَاصٌ صَدْرِيَّةٌ فَعَرَفْنَا أَنَّهُ نَهْرُ المَوْتِ، فَتَوَجَّسْنَا خِيفَةً مِنْهُ وَرَأَيْنَا التِّنِّينَ فَاغِرًا فَاهُ وَهُوَ يَقْطَعُ النَّهْرَ جِيئَةً وَذَهَابًا وَقَالَ وَالِدِي:


AÏSSA

- مَا أَبْشَعَ مَنْظَرَهُ...؟

قُلْتُ:

- انْظُرْ يَا أَبِي إِنَّ لَوْنَ المَاءِ يَبْعَثُ عَلَى الْخَوْفِ.

قَالَ:

- عَلَيْنَا أَنْ نَحْتَالَ عَلَيْهِ لِنَظْفَرَ بِالعُدْوَةِ الأُخْرَى.

قُلْتُ:

- إِنِّي خَائِفٌ يَا أَبِي.

قَالَ:

الْحَذَرَ... الْحَذَرَ... وَالْكَيِّسُ هُوَ الذِي يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَخَلَّصُ مِنَ الْمَأْزِقِ

قُلْتُ:

- وَلَكِنْ... كَيْفَ سَنَجْتَازُ النَّهْرَ...؟

قَالَ:

- عَلَى مَهْلِكَ يَا بُنَيَّ، لاَ تَتَسَرَّعْ فَإِنَّ العَجَلَةَ فِي الغَالِبِ تُورِثُ النَّدَمَ، سَنَتَدَبَّرُ، عَلَيْنَا أَنْ نُجَاهِدَ، وَنَتْعَبَ، وَنَبْحَثَ، وَنَتَوَكَّلَ عَلَى اللّٰهِ.

قُلْتُ:

- إِنَّهُ يَتَرَبَّصُ بِنَا، وَيَتَحَيَّنُ الفُرَصَ لِيَلْتَهِمَنَا، فَهُوَ لاَ يَنَامُ لَيْلَ نَهَارَ.

قَالَ:

- كُنْ شُجَاعًا يَا بُنَيَّ وَلاَ تَتَهَيَّبْ، وَلاَ تَخَفْ، فَقَدْ رَبَّيْتُكَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ، كُنْ صَبُوراً.

كَانَ التِّنِّينُ فِي الصَّبَاحِ يُوَاجِهُ الشَّمْسَ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ عَالِيًا وَيَنْتَفِضُ فِي المَاءِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ اللَّحَاقَ بِهَا، وَتَنْبَعِثُ مِنْهُ أَصْوَاتٌ مَخْنُوقَةٌ، مُزْعِجَةٌ، مُؤْلِمَةٌ تَبْعَثُ الانْقِبَاضَ وَالحُزْنَ فِي النَّفْسِ وَعِنْدَمَا نَقْتَرِبُ مِنَ النَّهْرِ يَهْتَزُّ غَضَبًا وَيَنْدَفِعُ نَحْوَنَا كَالثَّوْرِ الهَائِجِ.

قَرَّرْنَا أَنْ نَقْتَحِمَ النَّهْرَ وَأَنْ نَشْتَبِكَ مَعَهُ فِي مَعْرَكَةٍ وَرَأَيْنَا أَنَّ الانْتِظَارَ لاَ يُفِيدُنَا، وَإِنَّمَا الْحَزْمُ فِي الْإِقْدَامِ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَنَمْ فَقَدْ كُنَّا نُنْصِتُ إِلَى خُوَارِهِ وَكَأَنَّهُ يَتَهَدَّدُنَا وَيَتَوَعَّدُنَا بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ، وَعِنْدَ الفَجْرِ نَهَضَ أَبِي مُنْتَصِبًا وَقَالَ لِي:

ـ اِحْزِمْ أَمْرَكَ، وَلاَ تَسْتَسْهِلَنَّهُ، أَخْرَجْتُ سَيْفِي مِنْ غِمْدِهِ وَتَقَدَّمْتُ مَعَ أَبِي وَرَأَيْتُ التِّنِّينَ يَتَّجِهُ نَحْوَنَا وَهُوَ يَشُقُّ الْمَاءَ إِلَى نِصْفَيْنِ، وَقَدْ أَزْعَجَنِي مَنْظَرُهُ فَارْتَجَفْتُ وَتَصَلَّبَتْ أَوْصَالِي وَخِفْتُهُ وَتَقَهْقَرْتُ إِلَى الْوَرَاءِ فَالتَفَتَ إِلَيَّ وَالِدِي وَعَيْنَاهُ حَمْرَاوَانِ وَقَدِ احْتَقَنَ وَجْهُهُ مِنَ الْغَضَبِ وَلَوَّحَ بِسَيْفِهِ إِلَى فَوْقٍ وَتَقَدَّمَ مَرْفُوعَ الْهَامَةِ، وَاثِقَ الْجَنَانِ فَتَقَدَّمْتُ أَنَا مَعَهُ، وَانْدَفَعَ التِّنِّينُ نَحْوَنَا فِي سَوْرَةِ غَضَبٍ وَشَرَعْنَا نُنَاوِشُهُ

لِنَخْتَبِرَ قُوَّتَهُ، وَنَبْحَثَ لَهُ عَنْ مَقْتَلٍ، وَكَانَ يُرَاوِغُ وَيُهَاجِمُنَا فَنَتَرَاجَعُ عَلَّهُ يَلْحَقُ بِنَا إِلَى البَرِّ، وَلَكِنَّهُ كَانَ دَاهِيَةً يَعْرِفُ أَنَّهَا حِيلَةٌ احْتَلْنَاهَا فَيَرْجِعُ إِلَى المَاءِ وَيَسْتَجْمِعُ قُوَاهُ وَيُعِيدُ الكَرَّةَ وَبَقِينَا الْيَوْمَ كُلَّهُ فِي كَرٍّ وَفَرٍّ، نُخَادِعُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْحِيَلِ عَلَّنَا نُصِيبُ مِنْهُ مَقْتَلاً، وَعِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ كَانَ الْإِجْهَادُ قَدْ نَالَ مِنَّا، وَرَغْمَ التَّعَبِ فَقَدْ بَقِينَا اللَّيْلَ كُلَّهُ نُخَطِّطُ وَنَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كُنَّا فِي مُوَاجَهَتِهِ وَقَالَ لِي وَالِدِي:

ـ أَرَى أَنْ نَنْزِلَ إِلَى النَّهْرِ.

وَعِنْدَمَا بَلَغْنَا مُنْتَصَفَهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا التِّنِّينُ مُنْتَفِخَ الأَوْدَاجِ، مَزْهُوًّا يُمَنِّي نَفْسَهُ بِفَرِيسَةٍ سَهْلَةٍ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ:

ـ انْطَلَتْ عَلَيْكُمْ حِيلَتِي، وَأَوْقَعْتُكُمْ فِي فَخِّي، فَإِلَى أَيْنَ المَفَرُّ...؟

وَاشْتَبَكْنَا مَعَهُ فِي مَعْرَكَةٍ، وَطَالَ الكَرُّ وَالفَرُّ بَيْنَنَا، وَكَانَتْ هَجَمَاتُهُ عَنِيفَةً فَعِنْدَمَا يَكِرُّ عَلَيْنَا تَتَعَالَى أَمْوَاجُ الْمَاءِ فَتَسُدُّ أَمَامَنَا الأُفُقَ فَلاَ نَتَبَيَّنُهُ، وَفِي هَجْمَةٍ مِنْ هَجَمَاتِهِ أَصَابَهُ وَالِدِي بِسَيْفِهِ فَاهْتَزَّ فِي المَاءِ عَالِيًا وَأَضْحَى كَالْأَعْمَى لاَ يَعْرِفُ اتِّجَاهَهُ، وَطَفِقَ يُلْقِي رَأْسَهُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ وَكَأَنَّهُ الكَلْبُ المَسْعُورُ، وَأُصِيبَ وَالِدِي فِي رَأْسِهِ فَشُجَّ وَأَصَابَهُ دُوَارٌ فَسَقَطَ خَائِرَ القُوَى وَهَجَمَ عَلَيْهِ التِّنِّينُ وَقَدْ بَرَقَتْ فِي عَيْنَيْهِ مَلاَمِحُ الانْتِصَارِ لِأَنَّهُ ظَفِرَ بِغَنِيمَتِهِ وَلَكِنَّنِي كُنْتُ أَسْرَعَ مِنْهُ فَحِلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي، وَتَصَدَّيْتُ لَهُ وَتَقَدَّمْتُ مِنْهُ وَأَصَبْتُهُ فِي عَيْنِهِ، فَطَفِقَ يَدُورُ عَلَى نَفْسِهِ، وَخَارَتْ قُوَاهُ وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ، فَأَسْرَعْتُ وَسَاعَدْتُ أَبِي عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ النَّهْرِ وَهُوَ كَالمَشْلُولِ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الكَلاَمَ، وَكَانَ الجُرْحُ عَمِيقًا يَنْزِفُ مِنْهُ الدَّمُ بِغَزَارَةٍ، وَعِنْدَمَا كُنْتُ أُضَمِّدُ جِرَاحَهُ رَأَيْتُ التِّنِّينَ يَسْتَجْمِعُ قُوَاهُ وَيَنْهَضُ غَاضِبًا لِيَأْخُذَ بِثَأْرِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي:

ـ أَنَّى لِي بِمُقَاوَمَتِهِ وَحِيداً ...؟

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَتِ الْحَرَارَةُ شَدِيدَةً وَالْجَوُّ مُخْنِقًا، نَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ وَوَقَفْنَا مِنَ الضِّفَّةِ مَزْجَرَ الكَلْبِ. وَقُلْتُ لِأَبِي:

ـ اِبْقَ هُنَا فَأَنْتَ مُتْعَبٌ، أَنَا أَكْفِيكَ شَرَّهُ، أَنَا لَهُ.

أَجَابَنِي بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ مَنْهُوكٍ:

ـ سَأَكُونُ مَعَكَ، لَنْ أَتْرُكَكَ وَحْدَكَ لِهَذَا المَاكِرِ اللَّئِيمِ.

وَحَاوَلْتُ أَنْ أُقْنِعَ أَبِي بِضَرُورَةِ الرَّاحَةِ بَعْدَ تِلْكَ الضَّرْبَةِ المُؤْلِمَةِ وَلَكِنَّهُ مَا كَانَ لِيَنْتَصِحَ بِكَلَامِي وَقَدْ أَظْهَرَ شَجَاعَةً نَادِرَةً، وَرَبَاطَةَ جَأْشٍ قَوِيَّةٍ.

وَتَقَدَّمْنَا مِنَ التِّنِّينِ وَالْتَحَمْنَا مَعَهُ فِي مَعْرَكَةٍ ضَرُوسٍ، وَقَدْ كَانَ مُحَارِبًا مَاهِرًا فَكُلُّ حِيَلِنَا أَبْطَلَهَا، وَرَغْمَ يَقْظَتِنَا فَإِنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَالِطَنَا وَيَدْفَعَنَا نَحْوَ شَلَّالٍ قَاتِلٍ، وَهَجَمَ عَلَيْنَا وَلَكِنَّنَا رَاوَغْنَاهُ وَاسْتَطَعْنَا

النَّجَاةَ بِأَنْفُسِنَا، وَاغْتَنَمْنَا فُرْصَةَ رَقْصَةٍ كَانَ يَقُومُ بِهَا وَغَرَسْنَا سَيْفَيْنَا فِي جَنْبِهِ فَالتَفَتَ إِلَيْنَا سَاخِرًا وَكَرَّ نَحْوَنَا فِي انْدِفَاعٍ قَوِيٍّ، فَهَرَبْنَا مِنْ أَمَامِهِ وَالْتَجَأْنَا إِلَى الضِّفَّةِ، وَقَالَ لِي وَالِدِي:

- إِنَّ مُوَاجَهَتَهُ صَعْبَةٌ، فَهُوَ مُحَارِبٌ، مُجَرِّبٌ، مُحَنَّكٌ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَخْدَعَهُ لِأَنَّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ.

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ قُلْتُ لِأَبِي:

- لَوْ نَسْتَدْرِجُهُ قُرْبَ شَلَّالٍ كَمَا فَعَلَ لَنَا هُوَ بِالْأَمْسِ وَنُجْهِزُ عَلَيْهِ فَيَجْرِفُهُ التَّيَّارُ فِي الشَّلَّالِ فَتَنْدَقُّ عُنُقُهُ.

قَالَ لِي:

- إِنَّهُ عَارِفٌ بِمَسَالِكِ النَّهْرِ وَتَيَّارَاتِهِ، وَشَلَّالَاتِهِ فَهُوَ ابْنُ النَّهْرِ وَسَاكِنُهُ.

قُلْتُ لِأَبِي:

- عَلَيْنَا أَنْ نُصِيبَ عَيْنَهُ الْأُخْرَى لِنَضْمَنَ لِأَنْفُسِنَا الْانْتِصَارَ عَلَيْهِ وَإِلاَّ فَإِنَّهُ مُنْزِلٌ بِنَا أَسْوَأَ الْعَذَابِ.

ارْتَمَيْنَا فِي النَّهْرِ سِبَاحَةً فَتَلَقَّانَا بِهُجُومٍ عَنِيفٍ لِيَثْأَرَ مِنَّا لِمَا أَصَابَهُ، وَحَاوَلْنَا أَنْ نُصِيبَ عَيْنَهُ الْأُخْرَى وَكَأَنَّهُ عَرَفَ هَدَفَنَا فَأَضْحَى يَرْفَعُ رَأْسَهُ عَالِيًا لِيَتَحَاشَى ضَرَبَاتِ سَيْفَيْنَا، فَلَمْ نَسْتَطِعْ مُطَاوَلَتَهُ، وَأَصَابَهُ أَبِي بِضَرْبَةٍ قَوِيَّةٍ قَاتِلَةٍ فِي جَنْبِهِ فَطَفِقَ يَتَلَوَّى وَيَخُورُ فَعَاجَلْتُهُ أَنَا بِضَرْبَةٍ ثَانِيَةٍ عَلَى ذَنَبِهِ فَقَطَعْتُهُ، وَنَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ تَهَلَّلَ وَجْهَانَا بِشْرًا وَقُلْنَا هَذِهِ فُرْصَةُ الْاجْتِيَازِ وَسَاعَةُ النَّصْرِ وَلَكِنَّهُ ارْتَمَى فِي الْمَمَرِّ سَادًّا عَنَّا الْمَسْلَكَ فَتَرَاجَعْنَا إِلَى الوَرَاءِ، وَلَمْ نَتَمَكَّنْ مِنَ الْعُبُورِ لِأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَابَتْ وَشَلاَّلاَتُ النَّهْرِ كَثِيرَةٌ وَخَطِيرَةٌ.

وَبِتْنَا لَيْلَةً هَادِئَةً، رَغْمَ مَا لاَقَيْنَاهُ مِنْ جَهْدٍ فِي حَرْبِنَا، لِأَنَّنَا شَعُرْنَا أَنَّنَا انْتَصَرْنَا عَلَيْهِ، وَنَزَلْنَا فِي الْيَوْمِ الخَامِسِ فِي النَّهْرِ غَيْرَ عَابِئَيْنِ بِهِ فَقَدِ اعْوَرَّتْ عَيْنُهُ وَثُقِبَ جَنْبُهُ وَقُطِعَ ذَيْلُهُ وَضَعُفَتْ قُوَاهُ وَهَزَلَتْ، وَلَمْ يَعُدْ يَقْدِرُ عَلَى مُجَابَهَتِنَا، وَأَصْبَحَ بِإِمْكَانِنَا التَّغَلُّبَ عَلَيْهِ فِي مَعْرَكَةٍ قَصِيرَةٍ، وَلَكِنْ أُسْقِطَ فِي أَيْدِينَا


AÏSSA

لَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا فِي عُنْفُوَانِ قُوَّتِهِ وَقَدْ الْتَأَمَ جُرْحُهُ وَنَبَتَ ذَنَبُهُ مِنْ جَدِيدٍ وَبَرِئَتْ عَيْنُهُ، وَانْدَهَشْنَا لِمَنْظَرِهِ وَأَصَابَنَا الذُّهُولُ فَتَرَاجَعْنَا إِلَى الْوَرَاءِ وَحَاوَلْنَا الظَّفَرَ بِالضِّفَّةِ لِنَنْجُوَ بِأَنْفُسِنَا وَلَكِنَّهُ حَالَ دُونَنَا، وَبَقِينَا نُصَارِعُهُ وَهُوَ يَصُولُ وَيُظْهِرُ تَفَنُّنًا فِي مُحَارَبَتِنَا، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَنَا:

ـ نَحْنُ أَبْنَاءُ الْبَحْرِ لَنَا الْبُطُولاَتُ، جِسْمُنَا يَتَجَدَّدُ بِسُرْعَةٍ، لَيْسَ مِثْلَ أَبْنَاءِ الْأَرْضِ، وَاسْتَطَعْنَا أَنْ نَحْتَالَ عَلَيْهِ وَأَنْ نَقْفِزَ إِلَى الضِّفَّةِ. وَجَلَسَ أَبِي وَوَضَعَ سَيْفَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَقَدْ أَصَابَهُ الْيَأْسُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْتَظِرُ أَنْ يَجِدَ التِّنِّينَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ وَفِي مِثْلِ تِلْكَ القُوَّةِ وَالفُتُوَّةِ.

وَفِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَحْضَرْنَا سِهَامًا وَنِبَالاً مَسْمُومَةً وَمُنْذُ الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَقَفْنَا إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ وَطَفِقْنَا نَرْمِيهِ بِهَا فَتُصِيبُهُ فِي مَوَاقِعَ مُخْتَلِفَةٍ وَفِي الْبِدَايَةِ كَانَ يَتَظَاهَرُ بِعَدَمِ الاِكْتِرَاثِ بِهَا وَيُرِينَا أَنَّهَا لاَ تَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا، وَيَتَقَدَّمُ مِنَّا سَاخِرًا وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَنَا:

ـ إِنَّ نِبَالَكُمْ وَسِهَامَكُمْ قَدْ تَعَوَّدْتُ عَلَيْهَا فَكَمْ أَبْطَالٍ قَبْلَكُمْ فَعَلُوا مِثْلَكُمْ وَلَكِنَّهُمْ فَشَلُوا فَكَانُوا غِذَائِي...

وَتَوَقَّفْتُ عَنِ الرِّمَايَةِ فَالْتَفَتَ لِي وَالِدِي وَقَالَ:

ـ لاَ تَغْتَرَّ بِمَظْهَرِهِ، إِنَّهُ خَبِيثٌ غَدَّارٌ، إِنَّ السِّهَامَ وَالنِّبَالَ تُؤَثِّرُ فِيهِ بِبُطْءٍ، وَسَتَخُورُ قُوَاهُ، وَسَنَنْتَصِرُ عَلَيْهِ بِإِذْنِ اللّٰهِ. بَقِينَا اليَوْمَ كُلَّهُ وَنَحْنُ نَرْمِيهِ حَتَّى أَصْبَحَ جِسْمُهُ كَالقُنْفُذِ وَلَكِنَّهُ مَا يَنْفَكُّ عَنِ المُهَاجَمَةِ وَعِنْدَ الغُرُوبِ تَوَقَّفَتِ المَعْرَكَةُ. وَجَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي نَتَدَارَسُ الأَمْرَ وَنُعْمِلُ أَذْهَانَنَا وَنَكُدُّهَا لاِسْتِنْبَاطِ طَرِيقَةٍ بِهَا نَسْتَطِيعُ الْقَضَاءَ عَلَى هَذَا التِّنِّينِ القَمِيءِ.

وَطَلَعَ فَجْرُ اليَوْمِ السَّابِعِ فَغَمَرَ اللَّوْنُ الأُرْجُوَانِيُّ الأُفُقَ وَحَتَّى مِيَاهُ النَّهْرِ اصْطَبَغَتْ بِهِ وَشَاهَدْتُ الْغِرْبَانَ تَتَجَمَّعُ فَوْقَ النَّهْرِ وَتَنْعَقُ نَعِيقًا مُوحِشًا اهْتَزَّتْ لَهُ نَفْسِي وانْتَابَنِي شُعُورٌ غَرِيبٌ وَأَرَدْتُ أَنْ أُفْصِحَ عَنْهُ لِأَبِي وَلَكِنِّي تَرَاجَعْتُ وَكَأَنَّهُ أَدْرَكَ مَا أُفَكِّرُ فِيهِ فَقَالَ:

ـ مَالَكَ يَا بُنَيَّ...؟ تَشَجَّعْ... لاَ تَخَفْ... سَنَنْتَصِرُ... الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ النَّصْرِ... إِنَّ السِّهَامَ وَالنِّبَالَ أَثَّرَتْ فِيهِ، انْظُرْ إِلَى حَرَكَتِهِ فَهْيَ بَطِيئَةٌ، سَنَرْبَحُ اليَوْمَ الجَوْلَةَ، هَا هِيَ الغِرْبَانُ أَتَتْ لِتَنْعَاهُ، وَانْظُرْ إِلَى لَوْنِ السَّمَاءِ الأُرْجُوَانِيِّ وَكَأَنَّهُ نَذِيرُ سُوءٍ.

شَحَنَنِي كَلَامُ أَبِي بِشِحْنَةٍ قَوِيَّةٍ، وَبَعَثَ فِي نَفْسِي العَزْمَ وَالتَّفَاؤُلَ فَتَقَدَّمْتُ لِمُنَازَلَةِ التِّنِّينِ وَكُلِّي حَزْمٌ وَنَشَاطٌ، وَبِشَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ غَرَزَ أَبِي سَيْفَهُ فِي رَقَبَتِهِ فَأَحْنَى رَأْسَهُ وَاهْتَبَلْتُ الفُرْصَةَ فَارْتَمَيْتُ عَلَيْهِ وَأَثْخَنْتُهُ جِرَاحًا بِسَيْفِي فَخَارَ خُوَارًا اهْتَزَّتْ لَهُ النَّوَاحِي وَاضْطَرَبَ المَاءُ فَعَلَتِ الأَمْوَاجُ وَنَعَقَتِ الغِرْبَانُ وَعَلَتْ فِي الجَوِّ، وَطَرِبْتُ وَغَمَرَنِي سُرُورٌ لَمْ أَعْهَدْهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا انْطَفَأَ شُعَاعُ الفَرَحِ لَمَّا هَجَمَ التِّنِّينُ وَأَصَابَ أَبِي فِي رَأْسِهِ فَخَارَتْ قُوَاهُ وَاخْتَلَّ تَوَازُنُهُ فَسَقَطَ، وَلَكِنَّهُ تَشَجَّعَ وَنَهَضَ وَظَلَّ يُسَدِّدُ ضَرَبَاتٍ وَاهِيَةً ضَعِيفَةً وَبَدَا عَلَيْهِ الإِجْهَادُ وَلَكِنَّ التِّنِّينَ الخَبِيثَ لَمْ يَرْحَمْهُ فَالتَقَمَهُ، وَرَقَصَ رَقْصَةَ الانْتِصَارِ، فَرَأَيْتُ مِنَ الشَّجَاعَةِ أَنْ أَنْجُوَ بِنَفْسِي وَاجْتَزْتُ النَّهْرَ سِبَاحَةً، وَالتِّنِّينُ خَلْفِي يُرِيدُ أَنْ يَلْحَقَ بِي وَيَفْتِكَ بِي مِثْلَ أَبِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَسْرَعَ مِنْهُ.

وَخَرَجْتُ مِنَ النَّهْرِ مُجْهَدًا مَنْهُوكًا، وَقَدْ تَفَتَّتَ قَلْبِي أَلَمًا وَحَسْرَةً عَلَى أَبِي المِسْكِينِ الَّذِي ضَحَّى بِنَفْسِهِ وَمَاتَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ الْحَدِيقَةِ لِيَبْعَثَ فِيهَا الْحَيَاةَ مِنْ جَدِيدٍ وَالنَّمَاءَ وَالنَّضَارَةَ.


AISSA

بَقِيتُ وَحِيداً، مُتَفَرِّدًا فِي هَذَا المَكَانِ القَفْرِ، لاَ أَنِيسَ لِي، رَبَّاهُ أَسْعِفْنِي، أَنْقِذْنِي مِنْ هَذَا المَأْزِقِ... كَيْفَ الْخَلاَصُ وَقَدْ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا أَمَامِي وَاسْتَبَدَّ بِيَ الْيَأْسُ...؟ أَنَا ذَرَّةُ رَمْلٍ فِي صَحْرَاءَ شَاسِعَةٍ أَضْحَتِ الْهَوَاجِسُ تَعْبَثُ بِي وَتَفْجَؤُنِي، وَأَنَا كَالمَذْهُوبِ بِهِ، وَانْعَصَبَ أَمْرِي وَتَأَزَّمَتْ نَفْسِي وَضَاقَتْ وَاشْتَدَّتْ حَيْرَتِي. وَأَحْسَسْتُ بِيَدٍ تَلْمَسُ كَتِفِي فَانْتَصَبْتُ وَاقِفًا وَانْتَضَيْتُ سَيْفِي فَإِذَا هُوَ صَدِيقِي الشَّيْخُ بِهَيْبَتِهِ وَجَلاَلِهِ وَلِحْيَتِهِ البَيْضَاءِ، الطَّوِيلَةِ، وَقَامَتِهِ الفَارِعَةِ فَارْتَمَيْتُ عَلَيْهِ بَاكِيًا وَقُلْتُ:

- أَنْتَ أَنِيسِي فِي الْحَيَاةِ، لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُكَ، أَغِثْنِي فَإِنَّنِي مَلْهُوفٌ أَنْجِدْنِي فَإِنَّنِي بَائِسٌ.

هَدَّأَ مِنْ رَوْعِي وَحَبَانِي بِعَطْفِهِ وَحَنَانِهِ وَقَالَ لِي:

- لاَ تَيْأَسْ يَا بُنَيَّ، تَشَجَّعْ، كُنْ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِكَ، جَدُّكَ وَأَبُوكَ أَحْسَنُ مِثَالٍ لِلتَّضْحِيَةِ، لاَ تَقِفْ عِنْدَ العَثْرَةِ، وَاصِلْ طَرِيقَكَ، تَسَلَّحْ بِالصَّبْرِ، وَتَجَلَّدْ، فَاللَّهُ لَا يَبْخَلَ عَلَيْكَ بِإِعَانَتِهِ وَأَنْتَ الْآنَ مُنْتَصِرٌ لِأَنَّكَ

اجْتَزْتَ النَّهْرَ. كَانَ الشَّيْخُ يُحَدِّثُنِي وَفِي عَيْنَيْهِ بَرِيقٌ لَمْ أَعْهَدْهُ فِيهِمَا مِنْ قَبْلُ وَكَانَتْ نَغْمَةُ صَوْتِهِ تَسْرِي فِي نَفْسِي بِسُرْعَةٍ وَتَبْعَثُ فِيَّ الْقُوَّةَ عَلَى الْمُوَاصَلَةِ، وَقَالَ لِي:

- دُونَكَ الْجَبَلَ فَاصْعَدْهُ وَفِي قِمَّتِهِ سَتَجِدُ حَاجَتَكَ.

نَظَرْتُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِذَا هُوَ فِي عِنَاقٍ مَعَ السَّمَاءِ، وَقَدِ الْتَحَمَتْ قِمَّتُهُ بِالْأُفُقِ. وَعِنْدَمَا أَجْبَلْتُ كَانَتِ الصُّخُورُ إِمَّا مُذَبَّبَةً حَادَّةً تُدْمِي الأَقْدَامَ أَوْ مُتَصَلِّبَةً مَلْسَاءَ أُحِسُّ وَأَنَا أَتَوَقَّلُهَا تَنْزَلِقُ تَحْتَ قَدَمَيَّ انْزِلَاقًا فَأَلْقَى مِنْهَا الْعَنَتَ الشَّدِيدَ وَكَانَتْ نَغْمَةٌ تَتَرَدَّدُ فِي أُذُنَيَّ:

- بُورِكْتَ أَيُّهَا الْفَتَى الشُّجَاعُ.

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عِنْدَمَا اقْتَرَبْتُ مِنَ الْقِمَّةِ بَرَزَ أَقْزَامٌ، غَرِيبُو الصُّوَرِ وُجُوهُهُمْ مُدَوَّرَةٌ، فِيهَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ اسْتَقَرَّتْ فِي الْوَسَطِ، وَأُنُوفُهُمْ ذَاتُ مِنْخَرٍ وَاحِدٍ وَشُعُورُهُمْ مُسْتَرْسَلَةٌ، نَاعِمَةٌ، انْزَعَجْتُ مِنْهُمْ وَتَوَلَّانِي الْهَلَعُ، وَخِفْتُ أَنْ يَفْتِكُوا بِي قَبْلَ أَنْ أُفْهِمَهُمْ مَقْصَدِي، وَنُبْلَ غَايَتِي، وَكَانُوا يَصِيحُونَ بِأَصْوَاتٍ


AISSA

مَخْنُوقَةٍ، مَبْحُوحَةٍ تَبْعَثُ فِي النَّفْسِ القَرَفَ وَالتَّقَزُّزَ. وَسَاقُونِي إِلَى رَئِيسِهِمْ فَإِذَا هُوَ قَزَمٌ قَدِ اكْتَنَزَ شَحْمًا كَأَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ إِهَابِهِ، وَقَدْ كَانَ مَجْدُورَ الْوَجْهِ وَعَيْنُهُ جَاحِظَةٌ، يَعْلُوهَا حَاجِبٌ غَلِيظٌ، وَشَعَرُ رَأْسِهِ مُنْتَفِشٌ، أَبْيَضُ، قَدِ انْتَصَبَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ بِمُفْرَدِهَا وَكَأَنَّهَا الإِبَرُ. أَخَافَنِي مَنْظَرُهُ، فَتَصَبَّبَ مِنِّي الْعَرَقُ وَاسْتَبَدَّتْ بِيَ الْحَيْرَةُ وَقُلْتُ: هَذِهِ نِهَايَتِي، وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ تَقَدَّمْ فَحَاوَلْتُ فَلَمْ أَسْتَطِعْ كَأَنَّمَا شُدَّتْ رِجْلَايَ بِأَوْتَادٍ، وَبِصَوْتٍ فِيهِ رِقَّةٌ وَعُذُوبَةٌ خَاطَبَنِي:

- تَقَدَّمْ يَا بُنَيَّ.

تَقَدَّمْتُ بِتَثَاقُلٍ، مُرْتَعِدًا، وَاجِفًا، خَائِفًا.

- قَالَ لِي:

- مَنْ أَنْتَ...؟

قُلْتُ:

إِنْسَانٌ

قَالَ:

ـ أَعْرِفُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ وَلَكِنْ مِنْ أَيِّ بَلَدٍ...؟

ـ قُلْتُ:

ـ مِنْ تُونِسَ.

ـ صِفْهَا.

قُلْتُ:

ـ زَيْتُونَةٌ، ظَلِيلَةٌ، مُبَارَكَةٌ، تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، يَأْتِيهَا السُّيَّاحُ مِنْ كُلِّ بِلَادٍ لِيَتَمَتَّعُوا بِمَنَاظِرِهَا السَّاحِرَةِ الخَلَّابَةِ، وَلِيَنْعَمُوا بِبَحْرِهَا الهَادِئِ الدَّافِئِ، ذِي الشَّوَاطِئِ الرَّمْلِيَّةِ الصَّافِيَةِ.

قَالَ:

ـ مَا صِفَاتُ أَهْلِهَا...؟

قُلْتُ:

ـ الْجِدُّ وَالْمُثَابَرَةُ، وَالْعَمَلُ، وَالْبُطُولَاتُ وَالْمُغَامَرَاتُ.

قَالَ:

ـ لِمَاذَا أَتَيْتَ إِلَى هُنَا...؟

قُلْتُ:

- أَنْشُدُ التُّرَابَ الوَرْدِيَّ!

قَالَ:

- مَا حَاجَتُكَ بِهِ؟

قُلْتُ:

- حَدِيقَتِي بَائِسَةٌ، مَرِيضَةٌ، جَفَّتْ عُرُوقُهَا وَنَخَرَ الدُّودُ جُذُورَهَا فَتَسَاقَطَتْ أَوْرَاقُهَا.

قَالَ:

- هَلْ تَعْرِفُ الشَّرْطَ لِتَنَالَ مَرْغُوبَكَ؟

قُلْتُ:

- مَا هُوَ...؟

قَالَ:

- خَبِّرْنِي عَنْ جُزْءٍ فِي جِسْمِ الإِنْسَانِ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَشَابَهَ فِيهِ الْبَشَرُ جَمِيعًا.

وَأَضَافَ:

- يُمْكِنُكَ أَنْ تُقَدِّمَ سَبْعَةَ حُلُولٍ وَإِذَا لَمْ تَهْتَدِ فَنِهَايَتُكَ تَكُونُ هُنَا.

أَخَافَنِي كَلاَمُهُ رَغْمَ مَا يَبْدُو عَلَيْهِ مِنْ طِيبَةٍ، وَتَهَيَّبْتُ الْأَمْرَ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ نِهَايَتِي، مَا إِنْ أَخْلُصْ مِنْ مُشْكِلَةٍ حَتَّى أَقَعَ فِي أَعْوَصَ مِنْهَا، وَأَشَارَ إِلَى أَعْوَانِهِ فَأَخَذُونِي وَأَسْكَنُونِي بَيْتًا ضَيِّقًا، حَشَرَاتُهُ كَثِيرَةٌ وَرَائِحَتُهُ كَرِيهَةٌ، وَبَقِيتُ وَحِيداً أُفَكِّرُ فِي اللُّغْزِ وَأَتَفَحَّصُ أَجْزَاءَ جِسْمِي بِدِقَّةٍ وَأَنَا وَجِلٌ مِنْ أَنْ لاَ أَهْتَدِيَ إِلَى الْحَلِّ فَيَخِيبَ مَسْعَايَ، وَقَدْ جَاهَدْتُ كَثِيراً، وَاسْتُشْهِدَ جَدِّي وَأَبِي مِنْ أَجْلِهِ وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يَأْتُونِي وَيَحْمِلُونَنِي إِلَى رَئِيسِهِمْ فَأُقَدِّمُ لَهُ حلاً فَيُعْرِضُ عَنِّي وَيُشِيحُ بِوَجْهِهِ فَأَهْتَمُّ وَأَغْتَمُّ وَاسْتَنْفَدْتُ سِتَّةَ حُلُولٍ وَلَمْ يَبْقَ لِي إِلاَّ حَلٌّ وَاحِدٌ فَأَصَابَنِي الدُّوَارُ وَاشْتَدَّ وَجَلِي وَاضْطَرَبَ قَلْبِي


3015

وَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ وَجَأَرْتُ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ لِيُنْقِذَنِي مِمَّا أَنَا فيهِ وَفِي اللَّيْلِ بَيْنَمَا كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَتَأَمَّلُ حَرَكَةَ النُّجُومِ وَتَوَازُنَهَا وَقُدْرَةَ الخَالِقِ عَلَى تَنْظِيمِهَا إِذِ انْقَدَحَتْ فِي ذِهْنِي فِكْرَةٌ شَعُرْتُ بِأَنَّهَا الْحَلُّ الصَّحِيحُ وَاعْتَرَتْنِي هِزَّةٌ وَطَرِبْتُ كَثِيراً، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ السَّابِعِ قُلْتُ لَهُ:

- الْبَشَرُ يُمْكِنُ أَنْ يَتَشَابَهُوا فِي عُيُونِهِمْ وَشُعُورِهِمْ وَقَسَمَاتِ وُجُوهِهِمْ وَطُولِهِمْ وَقِصَرِهِمْ وَلَكِنْ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَشَابَهُوا فِي بَصَمَاتِ أَصَابِعِهِمْ.

فَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ بِشْرًا وَاحْتَضَنَنِي وَقَالَ:

- بُورِكْتَ أَيُّهَا الشَّابُّ الْمُغَامِرُ، الذَّكِيُّ، لافُضَّ فُوكَ، لَكَ مَا تُرِيدُ وَأَعْطَانِي صُرَّةً مِنَ التُّرَابِ الوَرْدِيِّ وَرَبَّتَ عَلَى كَتِفِي وَقَالَ:

- سِرْ يَا بُنَيَّ، وَسَيَرْجِعُ لِحَدِيقَتِكَ شَبَابُهَا وَسَتَنْجُو وَتَزْهُو وَتُضْحِي خَضْرَاءَ يَانِعَةً تُؤْتِي أُكُلَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا.


AÏSSA

سحب من هذا الكتاب 5300 نسخة في طبعته الأولى

مطبعة تونس قرطاج

حمودة الشريف كريم

****

* ولد بالسّبيخة (القيروان) في 1940/10/8

* تعلّم بالكتّاب ثمّ بالمدرسة القرآنيّة بالقيروان.

* التحق سنة 1952 بتونس العاصمة لمواصلة تعليمه بجامع الزّيتونة.

* تحصّل على الجزء الثّاني من التّحصيل العصري (فلسفة) سنة 1959.

* بدأ حمّودة الشّريف الكتابة الأدبيّة وهو طالب، ونشر انتاجه في الجرائد والمجلاّت التونسية المهتمّة بالأدب.

* كتب المقالة والدّراسات النّقديّة، واهتمّ خاصّة بقصص الأطفال.

* شارك في عدّة ندوات وملتقيات أدبيّة على المستوى الوطني.

حظي هذا الكتاب..
بتوصية من وزارة الثقافة

: 9973 - 12 - 215 - 1

الثمن : 2,000 د.ت